القلوب متضاربي الاهواء متباين الاراء كلنا عيون واسماع تكاد لا تطرف جفونا .. اذ فتح الباب وبرزت منه احدى السيدات وقالت صبي . صبي . القت هاتين الكلمتين على مسامعنا بصوت يتهدج من الفرح فكانتا احلى على القلوب من الماء الزلال وعم السرور من في داخل الغرفة وخارجها (واشتملت الزلاغيط من فج وغميق) وهناء الجميع آل العريس « الصبي » مسرورين حتى المتنبئين منهم بالبنت والمراهنين ولو خسروا

وهذا ما حدا بي الى تسطير هذه الكلمة عسى ان يكون منها ذكرى للمتذكرين وفائدة للمستفيدين .. ولا يظنن البعض اني انحيت على الرجال او تحاملت على النساء .. فاللبيب من نظر الى اللباب واعتزل عن العرض الى الجوهر والسلام .. اه

الحدث (لبنان) الخوري جرجس توما

شرف العذراء

تابع ما قبله

لا احصر المحافظة على شرف العذراء وتعزيزه في الوسائط المدرسية فقط ففي العائلات الساذجة توجد يد مع سذاجتها وعدم حصولها على شيء من العلم تعرف ما هي العذراء وما هو شرفها . واذ لا حكمة عملية تقي عذراءها من السقوط ووسائط تفهم الابنة ما هو ذلك الشرف . تاخذ الام تعامل العذراء بالقسوة والتحجب والضغط اعتقاداً منها ان العذراء لا يجب ان تملك حريتها لان بذلك وسائط لاطلاق عنان ارادتها وانها لضعفها الفطري غير قادرة على الوقوف عند الحد والمحافظة على ذلك الثوب فتصبح عذراء ذلك البيت من جراء تلك المعاملة والتربية غبية اسيرة لا تعرف ما هي لذة الحياة الجوهرية ولا مركز العذرا

الادبي كما واذ تكون امياتها غير مهذبة تهذيباً تاماً تاخذ تلك العذراء تترقب وتتحين الحصول على فرصة لاغتنام الحرية ولا يخفى ما وراء ذلك من الاخطار العظمى . لذلك فدرءا ودفعاً ليد الشر الاكبر وابتغاء الامن على معرفة العذراء نفسها دون رعاية وحماية بالعيون ومراقبة ملازمة تقدر على تهذيبها منذ وجودها تهذيباً تاماً وغرس مبدأ عزة النفس في قلبها واقناعها بان العذراء كما اشرنا يزينها ويرفعها ثوب سماوي يجب ان تحافظ عليه بحياتها ودمها لانها بدونه عارية . فاذا خسرت لاجله مالها ومجوهراتها وكل ما تملكه يداها فهي به متحلية بانواع الزينة والفخار ومتوجة بتاج العفاف والكمال ومتردية باثواب الطهر والسناء واذا لم تصن ذلك الثوب وسمحت لليد الغانية ان تمسه وللرياح ان تعبث به فهي عارية ذليلة تمقتها النفوس وتشمأها الابصار واذ ذاك فلا تاج الملك او غنى العالم ولا مجد الدنيا وكل سعادتها بعوضة عليها تلك الخسارة . متى عرفت العذراء كل هذا ورأت القدوة الحسنة في بيتها ومع تهذيبها التهذيب الحقيقي وتعليمها الصحيح اخذت تميل الى المعاشرات الادبية والمطالعات النزيهة وتمقت ما يجرح اذنها وتأبى الثقة السريعة بالناس وتحرص على مركزها بالثمن ما لديها وتحب الاعلى وتبغض الادنى ومن نفسها لنفسها زاجر . فهي هي القادرة على المسير بخطة تنام معها مرتاحة الضمير قريرة العين فلا تسمح باهانة نفسها واختلاس حقوقها . فهي هي العارفة مركزها الخطير فتسعى لاقتناء اشرف الخصال واطيب الاحدوثة لتبلغ طور الزوجة فالامومة التي خلقت لاجلها . ولا شك انها بمعرفتها نفسها تغدو ملكة عزيزة وبها تترقى العائلة ولا يخفا كم ان بترقي العائلة تترقى الامة فالبلاد . وهذا ما يذكرني شيئاً عن تاريخ العذراء في الجاهلية والمقابلة بين نتائج اهمالها وتحقيرها وبين تعزيزها وتعليمها قدر شرفها

في اول الجاهلية كان العرب يعتقدون ان وجود الابنة مصيبة كبرى وثقل عَلَى كاهل والدها واخوتها فكانوا تخلصاً من العار الذي يلحق بالعذراء اذا وقع السلب فالحرب فالسبي وتخلصاً ايضاً من تربيتها وتعريفها باهمية شرفها يئدون بناتهم قبل موت اباتهن او حين ولادتهن ولا يخفى ما في هذا العمل الفظيع من اماتة الشعور واهانة المرأة عموماً وانحطاط الامة والبلاد . كانوا يحسبون ان وجود العذراء في البيت ضربة قاضية واذا ولد لاحدهم انثى كانت ترده الرسائل تعزية لا تهنئة وبالعكس اذ تموت احداهن كانوا يكتبون لوالدها « دفن البنات من المكرمات » او « البنت مصيبة ولو مريم » او نعم الصهر القبر » مع ان تلك المسكينة ما هي الا سلوة وتعزية لوالديها وما خلقت الا لارق الشعور وابهى العواطف فكيف وجدت وكيف قوبلت واهينت ؟ حتى ان بعضهم قال في ابنة له تبالغ في اكرامه

تهوى حياتي واهوى موتها ابداً والموت اكرم نزالٍ عَلَى الحرم

وكاني بهم قد فقدوا العاطفة الوالدية والحنان المطلوب ومما يروى عن بعضهم انهُ بينما كان يحفر لابنته ليئدها كانت تنفض له الغبار المتطاير عَلَى لحيته وتمسح عرقه بيدها المرتجفة فتاملوا وقابلوا بين هذا الشعور الرقيق وتلك المعاملة . وكذلك عن قيس بن عاصم وأد بضع عشرة ابنة له الا واحدة ولدتها امها وهو في سفر فارسلتها الى اخوالها ولما آب وسالها عما ولدت اخبرته انها ولدت ميتاً ومضت سنون حتى ترعرعت البنت فزارت امها ذات يوم فدخل ابوها ورآها وقد ضفرت شعرها وتزينت والبست الحلى فقال من هذه الصبية فقد اعجبني حسنها فبكت امها وقالت هذه ابنتك . فامسك عنها حتى اشتغلت امها فاخرجها وحفر حفرة وجعلها فيها وهي تقول اتغطيني بالتراب يا ابتِ حتى واراها وانقطع

صوتها . وهكذا استمر الوأد جاريا عند العرب الى ان قام زيد بن عمر النصراني فجعل ينهي عنه وتبعه صعصعة بن ناجيه جدُّ الفرزدق فاخذ يطوف في القبائل يشتري الموؤدة بناقتين وجمل يشتري حياتها لارقها . وقد فدى ثلاث مئة موؤدة وظل على عمله الى ان جاء دين الاسلام الشريف فابطل هذه العادة تماماً ايضاً وعزز العذراء عموماً فانقلبت الحالة من خراب الى اصلاح وعمران وما ذلك الا بتعزيز العذراء التي اخذت تظهر اهميتها في الامة وتتقوى ادبياً وعلمياً وتترقى مركزاً وشرفاً ولم يطل العهد حتى ظهرت العذراء في ابهى مظاهر العفة والكمال والمساعدة لوالديها وحسن السمعة والمحافظة على نفسها ومما يذكر في هذه المقابلة رواية عن جميل بن عبدالله بن معمر العذري لما علق بحب بثينة اخذ ينسب فيها نسبه فخلفت الا تتوارى منه اذا زارها وكان ان زارها مرة فوشت بها جاريتها الى والدها واخيها فتناولا سيفين ووقفا على الباب يسمعان الحديث واذا بجميل يؤكد محبته لها ويسهب في ذلك الى ان قالت له بثينة ما هذا الكلام يا جميل لقد كنت عندي بعيداً عن كل ريبة فلئن عاودت تعريضاً لا رايت وجهي ابداً فضحك جميل وقال ما قلت هذا الا لاعلم ما انت عليه من معرفة نفسك وشرفك ولو اجبتني بالقبول لعرفت انك دنيئة سريعة السقوط فكنت اضربك بسيفي هذا الم تسمعي قولي

واني لارضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرَّت بلابله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي اواخره لا نلتقي واوائله

وكان ابوها واخوها يسمعان الحديث فقال الاول للثاني عدبنا فما نحن في ريبة بعد هذا بعذرائنا ولا يجب ان نمنعها من معاشرة احد

ومثل هذه الرواية اكثر من كثير مما يبرهن اهمية تهذيب العذراء ومعرفتها

قدرها فمنهن من خاضت المعامع وعانقت السيوف وسارت مع الجنود ونامت على الطرق وهي ساهرة على نفسها ولا ذكرى الا الثناء والمديح . وهذا ما يرويه ايضاً كتاب خواطر نيازي صفحة ٢٥٦ عن مساعدة واخلاص ابنته العذراء له لما كان يخدم مصالح الامة فانها كانت يده اليمنى وتعزيته في وقت تاملاته وسهره مما يؤكد تأثير العذراء اذا كانت معززة مهذبة فلاخوف عليها اذ ذاك ولا وجل فلا تغريها مظاهرات ولا تهوي بتمليقات الغير لاخوف عليها متى عرفت دينها وهو الباعث ماء الحياء في وجهها فيزيدها بهاء وجمالاً . متى عرفت ان في العلاء عيناً ساهرة تراقب حركاتها وسكناتها تخرق الجدران وتعلن كل سر ، ومكتوم . لا خوف عليها متى اصبحت قادرة على تمييز الصحيح من الفاسد فهي تعتبر الاول وتمقت الثاني تماماً وبعكس ذلك فالتهذيب الغير الصحيح والتحجب الزائد والجهل وعدم الوسائط لمعرفة العذراء نفسها هي ابواب ، واسعة للخوف على العذراء وعلى شرفها وان كانت ضمن خدرها وبين جدران بيتها فالحذار والبدار الى اتقاء الشر والسقوط وليتنبه الغافلون وليعلم الوالدون انهم مطالبون بواجباتهم نحو تلك المولودة الجديدة وعليهم تتوقف تلك المسؤولية . لانه كم من ذلّ عذراء يقاص عنه الوالدون ؟ كم من عذراء لحق بها العار وهي لعدم تربيتها لا تعرف ان هذا هو العار ؟ كم من عذراء سيقت الى السقوط بقدوة والدتها او والدها وهي لاتعرف ماقيمة شرف العذراء . لذلك انتم ايها الاباء مطالبون بعذرائكم فاما تربحون الفخر واما ... لا سمح الله

البقية في الحسناء التالية

حمص سلوى سلامه